الموضوع: عاشوراء مدرسة الثورة

المناسبة: عاشوراء الإمام الحسين (عليه السلام)

الزمان والمكان: 10 محرم الحرام 1416 هـ ق/ طهران

الحضور: جموع من المصلّين

الخطبة الأولى :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين، نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكّل عليه ونستغفره، ونصلّي ونسلّم على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه، حافظ سرّه ومبلّغ رسالاته، بشير رحمته ونذير نقمته، سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمد(صلى الله عليه وآله) وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين المعصومين المطهّرين الهداة المهديين سيّما بقيّة الله في الأرضين, وصلِّ على أئمّة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «حسينٌ منّي وأنا من حسين». وعنه9 أنّه قال: «إنَّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة».

أوصي جميع الأعزّة من الأخوة والأخوات ونفسي بخشية الله والتزام التقوى والاجتناب عن الذنوب, ونَيلْ رِضا الباري المتعال (جلّت عظمته)، فهذه روح وهدف الحياة، وهي السبب لسعادتنا وبياض وجوهنا ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ﴾[1] وكذلك في الحياة الدّنيا.

دروس في عاشوراء

إنّني اليوم وبمناسبة يوم عاشوراء، سأتحدّث عن ثورة الحسين(عليه السلام)، وإنّه لشيٌء عجيب، إذ أنّ حياتنا مليئة بذكر الحسين(عليه السلام)، وإنّنا نشكر الله على ذلك.

---

[1] سورة الشعراء، الآية: 88.

لقد قيل الكثير عن نهضة هذا العظيم، لكنّ الإنسان كلّما فكّر وتدبّر في هذا الموضوع، كلّما اتسع مجال التفكير والبحث والتحقيق والمطالعة عنده، فقد بقي الكثير ممّا لَمْ يُقال عن هذه الحادثة العظيمة والعجيبة الّتي لا نظير لها.

فعلينا أنْ نتدبّر ونتفكّر فيه ثمّ نقوله للآخرين.

لو نظرنا الحادثة منذ أنْ خرج الحسين(عليه السلام) من المدينة وتوجّه نحو مكّة إلى أنْ استُشهد في كربلاء، لأمكننا أنْ نقول إنّ الإنسان يستطيع عَدّ مائة درس مهمّ في هذا التحرّك الّذي استمرّ أشهر معدودة فقط, ولا أودّ القول آلاف الدروس وإن أمكن قول ذلك, حيث تعتبر كلّ إشارة من ذلك الإمام العظيم درساً، لكن عندما نقول مائة درس أيّ لوْ أردنا أنْ ندقّق في هذه الأعمال لأمكننا استقصاء مائة عنوان وفصل، وكلّ فصل يعتبر درساً لأمة وتاريخ وبلد ولتربية النفس وإدارة المجتمع وللتقرّب إلى الله.

هكذا هو الحسين بن علي (أرواحنا فداه وفداء إسمه وذكره) كالشمس الساطعة بين القديسين، أي إنْ كان الأنبياء والأئمّة والشهداء والصالحين كالأقمار والأنجم، فالحسينB كالشمس الطالعة بينهم، كلّ ذلك لأجل هذه الأمور.

وإلى جانب تلك الدروس هذه، هناك درس رئيسي في هذا التحرّك، سأحاول توضيحه لكم.

وهو لماذا ثار الحسين(عليه السلام)؟ لماذا ثُرت يا حسين رغم كونك شخصيّة لها احترامها في المدينة ومكّة، ولك شيعتك في اليمن، إذهب إلى مكان لا عليك بيزيد ولا ليزيد عليك شيء، تعيش وتعبد الله وتبلِّغ؟

هذا هو السؤال والدرس الرئيسي، ولا نقول إنّ أحداً لم يَشر إلى هذا الأمر من قبل، فقد حقّقوا وتحدّثوا كثيراً في هذه القضيّة، وما نودّ قوله اليوم ــ وفي رأيي ــ هو استنتاج جامع ورؤية جديدة للقضيّة.

الهدف من ثورة الإمام الحسين(عليه السلام)

يقول البعض: إنّ هدف ثورة أبي عبد الله الحسين(عليه السلام) هو إسقاط حكومة يزيد الفاسدة وإقامة حكومة بدلها.

هذا القول شبه صحيح وليس خطأ، لأنّه لو كان القصد من هذا الكلام هــو أنّ الحسين(عليه السلام) ثار لأجل إقامة حكومة وعندما يرى عدم إمكانيّة ذلك، يقول لم نتمكّن من ذلك، فلنرجع.

إنّ مَن يثور لأجل إقامة حكومة، سيستمرّ مادام يرى إمكانية ذلك، فإن احتمــل عدم الإمكان أو عدم وجود احتمال عقلائي، فوظيفته أن يرجع, فالّذي يقول إنّ هدف الإمامB من هذه الثورة هو إقامة الحكومة العلويّة الحقّة، فهذا غير صــحيح؛ لأنّ مجموع هذا التحرّك لا يدلّ على ذلك, وسأبين ذلك لاحقاً.

والبعض على العكس من ذلك، قالوا: ما الحكومة؟ إنّ الحسين كان يعلم بعــدم تمكّنه من إقامة الحكومة، إنّه جاء لأجل أن يُقتل ويَستشهد.

لقد شاع هذا الكلام على الألسن كثيراً فترةً من الزمن، وكان البعض يصنع ذلك بتعابير جميلة، ثمّ رأيت أنّ بعض كبار العلماء قد قالوا ذلك أيضاً، فهذا لا يُعتبــر كلاماً جديداً وهو أنّ الإمام(عليه السلام) ثار لأجل أن يستشهد، لأنّــه رأى أنّــه لا يمكنه عمل شيء بالبقاء، فقال يجب أن أعمل شيئاً بالشهادة.

هذا الرأي أيضاً لا يوجد في المصادر الشرعيّة الإسلاميّة, ما يؤيّد حجّة إلقــاء الإنسان نفسه في التهلكة القتل.

إنّ الشهادة الّتي نعرفها في الشرع المقدّس من خلال الآيات والروايات هي أن يتحرّك الإنسان ويستقبل الموت لأجل هدف مقدّس واجب أو راجــح، هــذه هــي الشهادة الإسلاميّة الصحيحة.

أمّا أن يتحرّك الإنسان لأجل أن يُقتل فلا، إذاً هذا الأمر وإن كان فيه جانباً من الحقيقة لكن لم يكن هدف الحسين(عليه السلام).

إذاً ــ باختصار ــ لا يمكننا القول: إنّ الحسين(عليه السلام) ثار لأجل إقامــة الحكومة، ولا أن نقول: إنّه ثار لأجل أن يستشهد, وإنّني أتصوّر أنّ القائلين بــأنّ الهدف هو الحكومة أو الهدف هو الشهادة قد خلطوا بين الهدف والنتيجة, فالهدف لم يكن ذلك، بل كان للإمام الحسين(عليه السلام) هدف آخر، كان الوصول إليه يتطلّب طريقاً وحركة تنتهي بإحدى النتيجتين: الحكومة أو الشهادة، وكان الإمام مســتعدّاً لكلتا النتيجتين، فقد أعدّ مقدّمات الحكم وكذا مقدّمات الشهادة، فإذا تحقّق أيّ منهما، كان صحيحاً، لكن لم يكن أيّ منهما هدفاً، بل كانا نتيجتين.

إذاً ما هو الهدف؟ أقول باختصار ثمّ أبدأ بتوضيحه قليلاً.

لو أردنا بيان هدف الإمام الحسين(عليه السلام)، فينبغي أن نقول هكذا: إنّ هدف الحسين(عليه السلام) كان أداء واجب عظيم من واجبات الدين لم يؤدّه أحد قبله، لا النبي(صلى الله علي وآله) ولا أمير المؤمنين(عليه السلام) ولا الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام)، واجب يحتلّ مكاناً مهمّاً في البناء العام للنظام الفكري والقيمي والعملي للإسلام.

ورغم أنّ هذا الواجب مهمّ وأساسي، لكنّه لماذا لم يُقَمْ بهذا الواجب حتّى عهد الإمام الحسين(عليه السلام)؟ كان ينبغي على الإمام الحسين(عليه السلام) القيام بهذا الواجب ليكون درساً على مرّ التاريخ، مثلما أنّ تأسيس النبي(صلى الله علي وآله) للحكومة الإسلاميّة أصبح درساً على مرّ تاريخ الإسلام، ومثلما أصبح جهاد النبي(صلى الله علي وآله) في سبيل الله درساً على مرّ تاريخ المسلمين وتاريخ البشريّة إلى الأبد.

فكان ينبغي أن يُؤدي الإمام الحسين(عليه السلام) هذا الواجب ليصبح درساً عمليّاً للمسلمين على مرّ التاريخ.

ولماذا قام الإمام الحسين(عليه السلام) بهذا الواجب؟ للجواب نقول: إنّ أرضية هذا العمل قد مُهِّدت في زمن الإمام الحسين(عليه السلام)، فلو لم تمهّد هذه الأرضيّة في زمن الإمام الحسين(عليه السلام)، كأن مُهّدت ــ وعلى سبيل المثال ــ في زمن الإمام علي الهادي(عليه السلام) لقام الإمام علي الهادي(عليه السلام) بهذا الواجب، لصار هو ذبيح الإسلام العظيم، ولو اتفق ذلك في زمن الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) لقام به، أو اتفق في عصر الإمام الصادق(عليه السلام) لقام به الإمام الصادق(عليه السلام)، لكنّ لم يتّفق ذلك في زمن الأئمّة حتّى عصر الغيبة إلاّ في عصر الإمام الحسين(عليه السلام).

إذاً كان الهدف أداء هذا الواجب، فعندها تكون نتيجة أداء الواجب أحد الأمرين, إمّا الوصول إلى الحكم والسلطة وكان الإمام الحسين(عليه السلام) مستعدّاً لذلك؛ ليعود بالمجتمع كما كان عليه في عصر رسول الله(صلى الله علي وآله) وأمير المؤمنين(عليه السلام)، أو يصل إلى الشهادة وكان الإمام الحسين مستعدّاً لها أيضاً.

فإنّ الله قد خلق الحسين والأئمة علهيم السلام بحيث يتحمّلون مثل هذه الشهادة لمثل لهذا الأمر، وقد تحمّل الإمام الحسين(عليه السلام) ذلك.

هذا خلاصة الأمر.

وأمّا توضيح هذا الأمر:

أنظروا أيّها الأخوة والأخوات المصلّون الأعزّاء، إنّ النبيّ الأكرم(صلى الله علي وآله) ــ وكذا أيّ نبيّ ــ عندما بُعث، أتى بمجموعة من الأحكام، بعضها فرديّة لإصلاح الفرد، وبعضها اجتماعية لبناء المجتمعات البشريّة وإدارة الحياة فيها.

هذه المجموعة من الأحكام يُقال لها النظام الإسلامي.

فعندما نزل الإسلام على القلب المقدّس للنبيّ الأكرم(صلى الله علي وآله)، فجاء بالصلاة والصوم والزكاة والإنفاقات والحجّ والأحكام الأسرية والعلاقات الفرديّة، ثمّ جاء بالجهاد في سبيل الله وإقامة الحكومة والنظام الاقتصادي وعلاقات الحاكم بالرعيّة ووظائف الرعية تجاه الحاكم.

هذه المجموعة من الأحكام عرضها الإسلام على البشر، وبيّنها النبي الأكرم9: «ما من شيء يقرّبكم إلى الجنّة ويبعّدكم من النار إلاّ وقد أمرتكم به»[2].

ولم يُبيّن النبيّ الأكرم(صلى الله علي وآله) كلّ ما يُسعد الإنسان والمجتمع الإنساني فحسب، بل طبّقها وعمل بها، فقد أقام الحكومة الإسلاميّة والمجتمع الإسلامي، وطبّق الاقتصاد الإسلامي، وأقيم الجهاد واستُحصلت الزكاة، فشيّد نظاماً إسلاميّاً وأصبح النبيّ الأكرم(صلى الله علي وآله) وخليفته من بعده معمار وقائد هذا النظام.

كان الطريق واضحاً وبيّناً، فوجب على الفرد وعلى المجتمع الإسلامي أن يسير في هذا الطريق وعلى هذا النهج، فإنْ كان كذلك بلغ الناس الكمال، وأصبحوا صالحين كالملائكة، وذهب الظلم والشر والفساد والفرقة, والفقر والجهل بين الناس، ووصل الناس إلى السعادة الكاملة ليصبحوا عباد الله الكُمّل.

حسناً، يبقى ــ هنا ــ سؤال وهو: لو صَرفت يَد أو حادثة, القطار الّذي سيّره النبي الأكرم(صلى الله علي وآله) عن مسيره، فما هو التكليف؟؟ لو انحرف المجتمع الإسلامي وبلغ الانحراف درجةً بحيث خيف انحراف أصل الإسلام والمبادئ الإسلاميّة ــ لأنّ الانحراف على قسمين، فتارة ينحرف الناس، وهذا ما يقع كثيراً، لكن تبقى أحكام الإسلام سليمة، وتارة ينحرف الناس ويفسد الحكّام والعلماء ومبلّغو الدِّين، فيحرّفوا القرآن والحقائق، وتبدّل الحسنات سيّئات والسيّئات حسنات, ويصبح

---

[2] فوائد الأصول، محمد علي الكاظمي: ص480.

المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ويُحَرَّف الإسلام 180 درجة ــ فلو اُبتلي النظام والمجتمع الإسلامي بمثل هذا الأمر، فما هو التكليف حينئذ؟

لقد بيّن النبي(صلى الله علي وآله) وحدّد القرآن التكليف ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾[3] .

إضافة إلى آيات وروايات كثيرة أخرى.

لكن هل تمكّن النبي(صلى الله علي وآله) من العمل بهذا الحكم الإلهي؟ كلاّ، لأنّ هذا الحكم الإسلامي يُطبّق في عصر ينحرف فيه المجتمع الإسلامي ويبلغ حدّاً يُخاف فيه مِن ضَياع أصل الإسلام، والمجتمع الإسلامي لم ينحرف في عهد رسول الله(صلى الله علي وآله)، ولم ينحرف في عهد أمير المؤمنين بتلك الصورة، وكذا في عهد الإمام الحسن(عليه السلام) عندما كان معاوية على رأس السلطة، وإن ظهرت الكثير من علائم ذلك الانحراف، لكنّه لم يبلغ الحدّ الّذي يُخاف فيه على أصل الإسلام.

نعم، يمكن أن يقال إنّه بلغ في برهة من الزمن الحدّ، لكن في تلك الفترة لم تتاح الفرصة ولم يكن الوقت مناسباً للقيام بهذا الأمر.

إنّ هذا الحكم الّذي يعتبر من الأحكام الإسلاميّة لا يقلّ أهمّية عن الحكومة ذاتها، لأنّ الحكومة تعني إدارة المجتمع، فلو انحرف المجتمع وفسد، وتعطّل الحكم الإلهي، ولم يوجد عندنا حكم وجوب تغيير الوضع وتجديد الحياة أو بتعبير اليوم (الثورة)، فما فائدة الحكومة في الإسلام.

فالحكم الّذي يرتبط بإرجاع المجتمع المنحرف إلى الخطّ الصحيح لا يقلّ أهمّية عن الحكومة ذاتها، ويمكن أن يقال إنّه أكثر أهمّية من جهاد الكفّار ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الطبيعيين في المجتمع الإسلامي، بل وحتّى من العبادات الإلهيّة العظيمة كالحج.

لماذا؟ لأنّ هذا الحكم ــ في الحقيقة ــ يضمن إحياء الإسلام بعد أن أشرف على الموت أو مات وانتهى.

حسناً، مَنْ الّذي يجب عليه أداء هذا الحكم وهذا التكليف؟ إنّه خليفة النبي الذي يقع في عصره هذا الانحراف بشرط أن يكون الوقت مناسباً للقيام بذلك، لأنّ الله لا

---

[3] سورة المائدة، الآية: 54.

يكلّف بشيء لا فائدة فيه, طبعاً ليس معنى (أن يكون الوقت مناسباً) هو عدم وجود الخطر، كلاّ، ليس هذا هو المقصود.

يجب أن يكون الوقت مناسباً، يعني أنّ الإنسان يعلم أنّ هذا العمل الّذي يقوم به تترتّب عليه نتيجة, يعني إبلاغ النداء إلى الناس وإفهامهم وعدم بقائهم على خطأهم, وربّما أنّ الإسلام قد انحرف في عصر الإمام الحسين(عليه السلام) وكان الوقت مناسباً، لذا وجب على الحسين(عليه السلام) أن يثور, فالشخص الّذي تولّى السلطة بعد معاوية لم يُراع حتّى جوهر الإسلام، وكان منغمساً في الخمر والمجون والتهكّم بالقرآن, وترويج الشعر الإباحي المرفوض من قِبَل الإسلام، فكان يخالف الإسلام علَناً، وكان بعمله هذا كنبع الماء العفن الّذي يُفسد ما حوله.

هكذا يكون الحاكم الفاسد، فبما أنّه يتربّع على قمّة المرتفع، فما يصدر منه لا يبقى في مكانه، بل ينتشر ليملأ ما حوله، خلافاً للناس العاديين حيث يبقى فسادهم لأنفسهم أو للبعض ممّن حولهم، طبعاً كلّ من شغل مقاماً ومنصباً أرفع في المجتمع الإسلامي كان ضرر فساده أكبر, لكن لو فسد مَن يقع على رأس السلطة لانتشر فساده وشمل كلّ الأرض، كما أنّه لو كان صالحاً، لامتدّ الصلاح إلى كلّ مكان.

فشخص كهذا أصبح خليفة رسول الله9، فهل هناك إنحراف أكبر من هذا؟

إذاً الأرضيّة ممهّدة, وما معنى أنّ الأرضيّة ممهّدة؟ هل معناه عدم وجود الخطر؟ كلاّ، فالخطر موجود, فلا معنى أن يبقى من هو على رأس السلطة ساكتاً أمام معارضيه ولا يخلق لهم المخاطر، بل من البديهي أن يوجّه لهم الضربات، فعندما نقول الوقت المناسب، فمعناه أن الظروف في المجتمع الإسلامي مواتية لأن يُبلّغ الإمام الحسين(عليه السلام) نداءه إلى الناس في ذلك العصر وعلى مرّ التاريخ.

فلو أراد الإمام الحسين(عليه السلام) الثورة في عصر معاوية لَما سُمع نداؤه؛ وذلك لأنّ الحكم والسياسات كانت بشكل لا يمكن للناس فيها سُماع قول الحقّ، لذلك فإن الإمام الحسين(عليه السلام) لم يُقدم على شيء, ولم يَثُر أيّام خلافة معاوية، مثلما أنّ الإمام الحسن(عليه السلام) لم يَثُر على معاوية، لأنّ الظروف لم تكن مواتية، لا أنّ الإمام الحسن(عليه السلام) لم يكن أهلاً لذلك، فلا فرق بين الإمام الحسن(عليه السلام) وبين الإمام الحسين(عليه السلام)، ولا بين الإمام الحسين والإمام السجّاد(عليه السلام)، ولا بين الإمام الحسين(عليه السلام) والإمام عليّ الهادي(عليه السلام) أو الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)، طبعاً منزلة الإمام الحسين(عليه السلام) ــ الّذي أدّى هذا الجهاد ــ أرفع من الّذين لم يؤدُّوه، لكنّهم

سواء في منصب الإمامة، ولو وقع في عصر أيّ منهم هذا الأمر لثار ذلك الإمـــام ونال تلك المنزلة.

فالإمام الحسين(عليه السلام) واجه مثل هذا الانحراف، والظروف كانت مواتية، فلا محيص للإمام(عليه السلام) من تأدية هذا التكليف.

لهذا فعندما قال له عبد الله بن جعفر ومحمّد بن الحنفيّة وعبد الله بن عباس ــ الّذين كانوا من العلماء والعارفين بأحكام الدِّين ــ أن تحرّكك فيه خطر فلا تذهب، أرادوا أن يقولوا: إنّ التكليف قد سقط عنك لوجود الخطر.

لكنّهم لم يدركوا أنّ هذا التكليف ليس بالتكليف الّذي يسقط بوجود الخطـــر، لأنّ مثل هذا التكليف فيه خطر دوماً، فهل يمكن لإنسان أن يثور ضدّ سلطة مقتدرة في الظاهر ولا يواجه خطراً.

لقد كانوا يقولون للإمام [الخميني (رض)] إنّ الخطر في مواجهتكم للشاه، فهل أنّ الإمام لم يكن يعلم بالخطر؟ ألم يكن الإمام يعلم أنّ جهاز الأمن البهلوي يعتقل، يقتل، يعذّب، يقتل زملاء الإنسان وينفيهم؟ بلى, فالّذي حدث فـــي عصـــر الإمـــام الحسينB حدث في عصر الإمام [الخميني] لكن بصورة أصغر.

فقد كان هدف الإمام الحسين(عليه السلام) وهدف إمامنا العظيم مشتركاً, وهـــو إرجاع الإسلام والمجتمع الإسلامي إلى الصراط المستقيم والخطّ الصحيح, بعد أن انحرف عن المسير وانحرف المسلمون نتيجة جهل وظلم واستبداد وخيانة البعض, وكانت الظروف مواتية في عصرنا مثلما كانت مواتية في زمن الإمام الحسين(عليه السلام)، فأقدم الإمام(قدس سره) على نفس العمل، لكن مع فارق وهو أنّ الثـــورة ضدّ الحكم الباطل في عصرنا انتهت بإقامة الحكومة الإسلاميّة والحمد للّه، لكـــن ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) كانت نتيجتها الشهادة، فهل أنّ الثورة في الصورة [الثانية] لا تصبح واجباً؟ وهل لا فائدة فيها إن كانت نتيجتها الشـــهادة؟ كـــلا، إنّ الثورة واجبة وإن انتهت بالشهادة، ولا فرق في ذلك, انتهت بالشهادة أو الحكم، لكن لكلّ منهما نوع من الفائدة.

إذاً يمكننا أن نلخّص القضيّة بهذه الصورة وهي: إنّ ثورة الإمام الحســـين(عليه السلام) كانت لتأدية واجب عظيم هو إعادة الإسلام والمجتمع الإسلامي إلى الخـــطّ الصحيح, أو الثورة ضدّ الانحرافات الخطيرة في المجتمع الإسلامي.

وهذا ما يتمّ بالثورة, وعن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هو مصداق عظيم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

طبعاً ــ وكما قلتُ ــ فقد تكون نتيجتها إقامة الحكومة، وقد تكون الشهادة، وقد كان الإمام الحسين(عليه السلام) مستعدّاً لكلتا النتيجتين.

ودليلي على ذلك هو ما استنتجته من أقوال الإمام الحسين(عليه السلام) نفسه، إنّني انتخبت بعض أقوال أبي عبد الله(عليه السلام) وكلّها تشير إلى هذا المعنى:

1 ــ عندما استدعى والي المدينة (الوليد) الإمام الحسين(عليه السلام) ليلاً وقال له: إنّ معاوية قد مات وعليك بمبايعة سيزيد، فردّ عليه الإمام(عليه السلام): «نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة» وعند الصباح عندما لقي مروان الإمام الحسين(عليه السلام) طلب منه مبايعة يزيد وعدم تعريض نفسه للقتل، فأجابه الإمام(عليه السلام): «إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأُمّة براع مثل يزيد».

فالقضيّة ليست شخص يزيد، بل مثل يزيد، ويريد الإمام الحسين(عليه السلام) أن يقول: لقد تحمّلنا كلّ ما مضى، أمّا الآن فإن أصل الدِّين والإسلام والنظام الإسلامي في خطر, إشارةً إلى أنّ الانحراف خطر جدّي، فالقضيّة هي الخطر على أصل الإسلام.

2 ــ في وصيّته إلى أخيه محمّد بن الحنفيّة عند خروجه من مكّة.

فالإمام (عليه السلام) قد أوصى أخاه محمد بن الحنفية، مرّتين: الأولى عند خروجه من المدينة، والثانية عند خروجه من مكّة.

وأتصوّر أنّ هذه الوصيّة كانت عند خروجه من مكّة في شهر ذي الحجّة, فبعد الشهادة بوحدانية الله ورسالة النبي(صلى الله عليه وآله) و... يقول الإمام(عليه السلام): «وإنّي ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنّما خرجت أريد الإصلاح في أمّة جدّي», أي أريد الثورة لأجل الإصلاح لا للوصول إلى الحكم حتماً أو للشهادة حتماً، والإصلاح ليس بالأمر الهيّن، فقد تكون الظروف بصورة بحيث يصل الإنسان إلى سدّة الحكم ويمسك بزمام السلطة وقد لا يمكنه ذلك ويستشهد، وفي كلتا الحالتين فالثورة تكون لأجل الإصلاح.

ثمّ يقول(عليه السلام): «أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي», والإصلاح يتمّ عن هذا الطريق، وهو ما قلنا أنّه مصداق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

3 ــ عندما كان الإمام(عليه السلام) بمكّة، بعث بكتابين، الأوّل إلى رؤساء البصرة, والثاني إلى رؤساء الكوفة، جاء في كتابه إلى رؤساء البصرة: «وقد بعثت

رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، فإن السنة قد أميتت والبدعة قد أحييت، فإن تسمعوا قولي أهديكم إلى سبيل الرشاد».

أي يريد الإمام الحسين(عليه السلام) تأدية ذلك التكليف العظيم وهو إحياء الإسلام وسنّة النبي(صلى الله عليه وآله).

وجاء في كتابه إلى رؤساء الكوفة: «فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائر بالحقّ والحابس نفسه عن ذات الله، والسلام» لقد بيّن الإمامB هدفه من الخروج، وكان يخاطب الناس في كلّ منزل ينزل فيه بعد خروجه من مكّة.

4 ــ عندما [واجه الحسين(عليه السلام) جيش الحرّ] وسار بأصحابه في ناحية, والحرّ ومن معه في ناحية حتّى بلغ «البيضة».

خاطب الإمام(عليه السلام) أصحاب الحر، فقال: «أيّها الناس إنّ رسول الله9 قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرم الله ناكثاً لعهد الله, مخالفاً لسنة رسول الله, يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان, فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله».

فالنبي(صلى الله عليه وآله) بيّن ما يجب عمله إذا انحرف النظام الإسلامي، وقد استند الإمام الحسين(عليه السلام) إلى قول النبيّ(صلى الله عليه وآله) هذا.

إذاً التكليف هو «يغيّر عليه بفعل أو قول»، فإن واجه الإنسانُ هذا الأمر وكان الظرف مُوآت كما قلنا، وجب عليه أن يثور ضدّ هذا الأمر ولو بلغ ما بلغ، يقتل، يبقى حيّاً، ينجح في الظاهر أو لا ينجح.

يجب على كلّ مسلم أن يثور أمام هذا الوضع، وهذا تكليف قال به النبي(صلى الله عليه وآله).

ثمّ قال(عليه السلام): «وأنا أحقّ مَنْ غيّر» لأنّي سبط النبي(صلى الله عليه وآله)، فإن كان النبي(صلى الله عليه وآله) قد أوجب على المسلمين فرداً فرداً هذا الأمر، كان سبط النبي(صلى الله عليه وآله) ووارث علمه وحكمته الحسين بن علي(عليه السلام) أحقّ أن يثور، فإنّي خرجت لهذا الأمر.

فيعلن عن سبب وهدف ثورته وهو لأجل «التغيير» أي الثورة ضدّ هذا الوضع السائد.

5 ــ لمّا نزل بـــ«الغريب» التحق به أربعة نفر، فقال لهم الإمام(عليه السلام): «أما والله إنّي لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا, قُتلنا أم ظفرنا», وهـــذا دليـــل على قولنا عندما قلنا لا فرق سواء انتصر أو قتل، يجب أداء التكليف.

6 ــ في أوّل خطبة له(عليه السلام) عند نزوله بكربلاء، يقول(عليه الســـلام): «وقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون» إلى أن يقول: «ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به, وإلى الباطل لا يُتناهى عنه, ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً...» إلـــى آخـــر الخطبة.

إذاً ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) كانت تأدية لواجب, وهو عبارة عن وجوب الثورة على كلّ مسلم حال رؤية تفشّي الفساد في جذور المجتمع الإسلامي بحيـــث يخاف من تغيير كلّي في أحكام الإسلام، وكانت الظروف مواتية، وعلم بأنّ لهـــذه الثورة نتيجة، وليس شرطاً البقاء حيّاً وعدم القتل وعدم التعرّض للتعـــذيب والأذى والمعاناة.

فالحسين(عليه السلام) قد ثار وأدّى هذا الواجب عمليّاً ليكون درساً للجميع، وقد تتوفّر الظروف المناسبة لأي أحد للقيام بهذا العمل على مرّ التاريخ، طبعا الظروف لم تكن مواتية في عصر سائر الأئمة (عليهم السلام) من بعد الإمام الحســـين(عليه السلام)، وهذا الأمر له تفسير وهو وجود أعمال مهمّة أخرى وجب القيام بها.

فلم تتوفّر هذه الظروف بعد ذلك في المجتمع الإسلامي إلى أواخر عصر الأئمة (عليهم السلام) وبداية عصر الغيبة، لكن قد تتوفّر مثل هذه الظروف فـــي الـــدول الإسلاميّة على مرّ التاريخ، وقد تكون الأرضيّة في بعض أقطار العالم الإسلامي ــ الآن ــ مهيأة لقيام المسلمين بذلك أيضاً.

فإن قاموا بذلك، فقد صانوا الإسلام وضمنوا بقاءه، وقد يواجه واحد أو إثنـــان الفشل، لكن عندما يكثر هذا التغيير وهذه الثورة والحركة الإصلاحيّة، فثقوا باجتثاث جذور الفساد والانحراف.

إنّ الإمام الحسين(عليه السلام) قد علّم التاريخ الإسلامي درساً عمليّاً عظيمـــاً، وضمن بقاء الإسلام في عصره وسائر العصور, فأينما وجد مثل هذا الفساد، كـــان الإمام الحسين(عليه السلام) حيّاً حاضراً هناك, يعلّمنا بأسلوبه وفعله ما يجب علينا عمله, لهذا يجب أن يبقى إسم الحسين(عليه السلام) حيّاً وتبقى ذكرى كربلاء حيّة؛ لأنّ ذكرى كربلاء تجعل هذا الدرس العملي نصب أعيننا.

ومع الأسف إنّ درس عاشوراء ليس معروفاً في سائر الدول الإسلاميّة كما ينبغي, لقد كان معروفاً في بلدنا وكان الناس يعرفون الإمام الحسين(عليه السلام) وثورته، لقد كانت الروح الحسينيّة موجودة لهذا لم يعجب الناس عندما قال الإمام(قدس سره) إنّ محرّم هو شهر انتصار الدم على السيف، وهي الحقيقة، وانتصر الدم على السيف.

لقد قلت هذه المطالب في مجلس قبل الثورة، بـ 25 عاماً تقريباً، قلت للإخوة والأخوات أن أيّها الأعزة، بأيّ لسان يقول الحسين(عليه السلام) ما هو تكليفكم؟ فالظروف هي تلك الظروف، والحياة هي تلك الحياة، والإسلام هو ذلك الإسلام، والإمام الحسين(عليه السلام) قد بيّن عمليّاً وظيفة كلّ الأجيال، ولو لم تُنقل كلمة واحدة عن الإمام الحسين(عليه السلام) لوجب علينا أن نعرف تكليفنا.

إنّ الشعب المكبّل بالقيود من قبل مفاسد حكّامه، الشعب المتسلّط على رقابه والقابض على زمام أموره أعداء الدين، وجب عليه أن يدرك تكليفه، لأنّ سبط النبي(صلى الله عليه وآله) والإمام المعصوم قد علّمنا ما يجب علينا فعله في مثل هذه الظروف، ولم يمكن ذلك باللّسان، فلو قال ذلك بـ(مئة) لسان ولم يَثُر هو, لَما أمكن أن يمرّ هذا النداء عبر التاريخ، فالنصيحة والأقوال ليستا اللّتين تمرّان عبر التاريخ فقط، فهناك الآلاف من التعابير، بل يجب القيام بعمل عظيم وصعب كهذا, وتضحية عظيمة وأليمة كالّتي قام بها الإمام الحسين(عليه السلام).

والحقيقة فإن ما هو أمام أعيننا من واقعة عاشوراء الّتي لا نظير ولا مثيل لها بين جميع الحوادث والفواجع البشريّة، وكما قال النبي(صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين(عليه السلام) والإمام الحسن(عليه السلام)ـ على ما ورد في الروايات ـ: «لا يوم كيومك يا أبا عبد الله», هذا اليوم هو يوم عاشوراء, وهذه أيّام بكاء ونعي.

إنّ كربلاء كلّها عزاء ومصائب، وحوادث عاشوراء كلّها بكاء وألَمْ، منذ نزول الحسين(عليه السلام) بأرض كربلاء، وخُطبه، أقواله، وأشعاره، وإخباره بقتله، مخاطبته لأخته زينب وإخوته وأعزّته، كلّها مصائب إلى ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء, ولأجل أن أشرك نفسي في هذه الضيافة الحسينيّة العظيمة قليلاً سوف أنعى ببعض الكلمات.

وبما أنّ شعبنا ضحّى بالكثير من الشباب في سبيل الله، وقد يتواجد بين جموع المصلّين الآلاف ممّن قدّموا شبابهم، فرأيت أن أذكر مصيبة شباب الحسين(عليه السلام).

حسناً إنّنا نوصي الجميع بقراءة النعي من متن الكتب، والبعض يقول لا يمكن ذلك، لكنّني سأقرأ لكم ما ورد في كتاب «اللهوف» لابن طاووس.

إنّ عليّ بن طاووس[4] من علماء الشيعة الأجلاّء في القرن السادس الهجري، وهو من عائلة علميّة ودينيّة صالحة، وبالخصوص الأخوين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، وأحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس[5]، فهما من العلماء والمؤلّفين الكبار.

والكتاب [اللّهوف] هو للسيّد علي بن موسى بن جعفر بن طاووس.

---

[4] ابن طاووس (589 ــ 664هـ) علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسني، العالم الربّاني، الفقيه الإمامي الزاهد، السيد رضي الدين الحلّي، أشهر أعلام أُسرة آل طاووس على كثرة من نبغ فيهم من العلماء والفقهاء ولد بالحلّة في منتصف المحرم سنة تسع وثمانين وخمسمائة، ونشأ وتعلّم بها باعتناء جدّه لأُمّه ورّام بن أبي فراس، ووالده موسى، وأقبل على طلب العلم، وبذل فيه وسعه، واشتغل بالفقه وقرأ فيه وفي أُصول الدين كتباً كثيرة، وسمع وحفظ الكثير، وبرع حتى بذّ أقرانه، وجمع، وصنّف كثيراً روى عن جماعة من العلماء والفقهاء، وكان ابن طاوس قد انتقل إلى بغداد في حدود سنة (625هـ)، وأقام بها نحواً من خمس عشرة سنة، واتصل بالمستنصر العباسي، فقرّبه، وحظي عنده بمنزلة عالية، وطلبه للفتوى فلم يقبل تورّعاً، ثم دعاه لتولّي النقابة، ثم للدخول في الوزارة، فامتنع وأبى، وتوثقت صلاته خلال ذلك بالوزير مؤيد الدين ابن العلقمي، وأخيه وولده صاحب المخزن ثم رجع إلى الحلة، وكان ذلك كما رجّح بعضهم في أواخر عهد المستنصر (المتوفّى 640هـ)، ثم انتقل إلى النجف الاشرف، فأقام بها ثلاث سنين ثم عاد إلى بغداد سنة (652هـ)، وتولّى النقابة بها سنة (661 ه)، فاستمر إلى أن مات سنة أربع وستين وستمائة، وصنّف كتباً كثيرة في فنون مختلفة.

موسوعة طبقات الفقهاء ج7: 180.

[5] ابن طاووس (.. ــ 673هـ) أحمد بن موسى بن جعفر المعروف بابن الطاووس الحلّي كان من أكابر فقهاء الإمامية ومجتهديهم، عالماً بالحديث ورجاله، متكلّماً، أديباً، شاعراً مجيداً، مصنّفاً. هو أوّل من قسّم من علماء الإمامية الحديث إلى الأقسام الأربعة المشهورة: صحيح وموثّق وحسن وضعيف، وكان مع غزارة علمه ذا زهد وتعبّد، وصنّف تمام اثنين وثمانين مجلداً كما يقول تلميذه ابن داود منها: بشرى المحققين ست مجلدات في الفقه، الملاذ أربع مجلدات في الفقه، الكُرّ، الفوائد العدّة في أُصول الفقه، الثاقب المسخّر على نقض المشجّر في أُصول الدين، بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية، المسائل في أُصول الدين، عين العبرة في غبن العترة (مطبوع) «3» زهرة الرياض في المواعظ، عمل اليوم والليلة، الأزهار في شرح لامية مهيار، شواهد القرآن، إيمان أبي طالب، وحلّ الأشكال في معرفة الرجال، وله ديوان شعر، توفّي سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

موسوعة طبقات الفقهاء ج7: 37.

[ثمّ قرأ ولي أمر المسلمين مقتل عليّ الأكبر من هذا الكتاب، وبعد الدعاء، أنهى خطبته الأولى بسورة التوحيد].

* * *

الخطبة الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد(صلى الله عليه وآله) وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين المعصومين سيّما بقيّة الله في الأرضين, اللّهم وصلِّ على أمير المؤمنين والصدّيقة الطاهرة سيّدة نساء العالمين والحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة وعلي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمّد الصادق وموسى بن جعفر الكاظم وعلي بن موسى الرضا ومحمّد بن علي الجواد وعلي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري والحجّة القائم المهدي صلواتك عليهم, وصلّ على أئمّة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

أوصيكم عباد الله في كلّ مكان بتقوى الله.

ثورة الحسين (عليه السلام) نبراس لكل الثورات العالمية

نكتفي في هذه الخطبة ــ نظراً لضيق الوقت ــ بالمطالب الّتي أعددناها للأخوة المسلمين في سائر البلاد وبالخصوص الأخوة العرب.

السلام على أبناء أُمتنا الإسلاميّة في كلّ مكان, نحن في يوم عاشوراء.

إنّه يوم استُشهد فيه سيّد شباب أهل الجنّة الحسين بن علي(عليه السلام)، هو وأصحابه وأهل بيته مظلومين, بعد أن خاضوا بصمود وعزّة حرباً ظالمة غير متكافئة.

هذا اليوم يوم عزاء كبير لكلّ أبناء الأمة الإسلاميّة الّذين يحملون الحبّ والولاء لآل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) والموالون لأهل البيت (عليهم السلام) خلال القرون الثلاثة عشر بعد هذه الواقعة الأليمة، يقيمون مراسم العزاء ويحيون ذكرى الشهادة والصمود والمقاومة.

لقد حاول أعداء أهل البيت من المروانيين والعبّاسيين خلال تسلّطهم المقيت على مقدّرات المسلمين أن يزيلوا طابع العزاء والمصيبة عن هذا اليوم، ويظفوا عليه طابع يوم مبارك ومقدّس، ولذلك ورد عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) قولهم: «اللّهمّ هذا يوم تبرّكت به بنو أُميّة».

فما هو سبب هذا الافتراق في النظرتين؟

لو فهمنا طبيعة حادثة عاشوراء فهماً صحيحاً لاتّضح لنا سبب هذا الافتراق.

الحسين بن علي (عليه السلام) حفيد رسول الله, ووارث رسالته وعلمه وحكمته, أحسّ بمسؤوليّة كبرى حين تولّى الخلافة يزيد بن معاوية.

هذه المسؤوليّة يوضّحها الحسين(عليه السلام) نفسه في حديث عن جدّه، قال: «أيّها الناس، إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنّة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»، وكان يرى يزيداً مصداقاً لهذا الحديث النبوي، وكان يقول فيه: «وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمّة براع مثل يزيد».

كان المجتمع الّذي ثار فيه الحسين(عليه السلام) قابعاً تحت وطأة ثقيلة من الاستبداد والطغيان، ويمارس فيه الحكّام ألوان البطش والتنكيل بحقّ كلّ من يتوجّسون منهم معارضة لسلطانهم.

الوجوه الإسلامية البارزة تخشى أن تسير في ركاب الحسين، وعامّة الناس يعيشون في ظلمات الجهل والذلّ والقهر والخوف وموت الضمير.

في مثل هذا الجوّ، ثار الحسين(عليه السلام) مع جماعة قليلة من خواصّ أصحابه وأهل بيته، وأدّى واجبه الإلهي بكلّ شجاعة وصبر وصمود وعزّة، وترك لكلّ الأجيال المسلمة على مرّ التاريخ درساً عمليّاً ناطقاً صارخاً.

حادثة استشهاد الحسين(عليه السلام) وأصحابه وأهل بيته كشفت عن منتهى الوحشيّة والفظاعة والقسوة والانحطاط الخلقي وموت الضمير في قتلته الظالمين، كما تركت للتاريخ أروع صورة منقطعة النظير من السموّ الإنساني والارتفاع الخلقي, وعزّة النفس وعظمة الروح, والتضحية في سبيل المبدأ, لدى الثائرين في سبيل الله وفي سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أرض كربلاء.

يا أبناء أُمّتنا الإسلامية! درس الحسين(عليه السلام) ملك لجميع المسلمين على مرّ الأجيال، والتحرّك الحسيني في كلّ عصر يضمن بقاء الإسلام وعزّة المسلمين,

الحسين(عليه السلام) أدّى رسالته في أقسى الظروف كي لا يبقى لأحد عذر إن قست عليه الظروف, وببركة دم الحسين وبعد استشهاده مباشرةً توالت الثورات في العالم الإسلامي, حتّى أدّت إلى انهيار الحكم الأموي المرواني الغاشم.

وهذا الّذي حدث بعد واقعة كربلاء درس آخر يوضّح للمسلمين أنّ الاستشهاد في سبيل الله ــ وإن كان يبدو في النظرة السطحيّة فشلاً وهزيمة ــ قادر على أن يزلزل عروش الظالمين, وأن يضمن بقاء مسيرة قمع الباطل، وإقامة الحقّ في المجتمع الإسلامي.

أيّها الأُخوة المسلمون والأخوات المسلمات، الشعب الإيراني المسلم نهض بثورته الإسلاميّة الكبرى مستلهماً روح الحسين(عليه السلام)، والإمام الراحلΣ, أعلن أنّ شهر محرّم شهر انتصار الدم على السيف.

وانتصر الدم على السيف، واقتُلعت من الجذور الحكومة الملكيّة الظالمة في إيران, المدعومة دعماً كاملاً من أمريكا والغرب والّتي كان للكتلة الشرقيّة ــ الموجودة يومئذ ــ أيضاً معها روابط ودّية، قلعها الشعب من الجذور، ورفع راية الإسلام خفّاقة على هذا الجزء من أرض أُمّتنا الإسلاميّة.

ويوم عاشوراء وهو بالنسبة لأبناء الأمة في إيران إضافة إلى ما فيه من دروس، يوم شكر أيضاً، شكر للّه سبحانه وتعالى أن وُضع شِرعة الجهاد الّتي سار عليها الحسين(عليه السلام) ليصون الأمة من الذلّ والهوان، الشكر له سبحانه وله المنّة أن جعل الأمة في إيران تقتدي بالإمام الحسين(عليه السلام)، وتستلهم من روح عاشوراء ما يُعينها على تسجيل ملحمة بطوليّة كبرى من ملاحم الثائرين الرساليين في التاريخ.

الشكر للّه سبحانه وله المنّة أن جعل روح الحسين(عليه السلام) حيّة بين جماهير أُمّتنا بعد انتصارها على طاغوت إيران, وتتحدّى طواغيت العالم وتصمد بوجه مؤامراتهم ودسائسهم ومكائدهم، وتقدّم لكلّ الأمة الإسلامية مثلاً أعلى لمن يريد العزّة تحت ظلّ راية الإسلام.

سلام الله عليك يا أبا الثوّار يوم علّمتنا دروساً، إذ قلت في تلك المواقف الحاسمة:

«إني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً» وقلتَ: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أُقرّ قرار العبيد»، وقلتَ: «هيهات منّا الذلّة».

سلام الله عليك يوم وقفت وقفتك الكبرى وعلّمت الأمة الإسلاميّة دروس العزّة والإباء والتضحية في سبيل الله.

وسلام الله عليك يوم استشهدت ويوم تبعث حيّاً.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الّذين بذلوا مهجهم دون الحسين(عليه السلام)، والسلام على كلّ الثـــائرين على طريق الحسين ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَـــانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .